

قراءة استقرائية في المصادر التاريخية حول القضية الأترابية  
**An introductory reading in historical sources about the  
Etruscan issue**

بن سعيد جمال<sup>1</sup>، أ.د نبيلة عبد الشكور<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة الجزائر 02 – الجزائر. bensaidjamel@yahoo.com

<sup>2</sup> جامعة الجزائر 02 – الجزائر. hassani.nabila@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/11/18 تاريخ القبول: 2021/11/29 تاريخ النشر: 2022/01/23

**ملخص:**

اتبع المغول سياسة توسعية محكمة لاستكمال مشروع بناء امبراطورية مغولية، تقوم على إخضاع القوى المجاورة، مثل الدولة الخوارزمية التي تميزت بالمدنية آنذاك، لاشتمالها على الكثير من الحواضر المشهورة كبخارى وسمرقند وخوارزم، إلا أنها لم تصمد أمام تنفيذ جنكيز خان لسياسته التوسعية، وكان لغزو الدولة الخوارزمية واجتياحها من طرف المغول أسباب كثيرة ومختلفة، بعدما كانت العلاقات السياسية تعتمد على البعثات الدبلوماسية والتبادل التجاري قبل حادثة أترار التي أّزمت تلك العلاقة، أزمة كانت سببا في تحرك القوات المغولية وزحفها غربا لإخضاع إقليم ما وراء النهر وخراسان وجميع أراضي الدولة الخوارزمية.

كلمات مفتاحية: استقراء المصادر، غزو مغولي، خوارزمي، أترار

**Abstract:**

The Mongols followed a tight expansion policy to complete the project of building a Mongol empire based on the subjugation of the neighboring force and far from their original homeland , Mongolia, and these forces were represented in the largest civilizations, the most powerful and the most civilized and civilized, the most important of which was one of the largest

countries at the time and most civilized inclusion of many cities Known as Bukhari, Samarkand, and Khwarezm, but it did not withstand the implementation of Genghis Khan expansionist policy and the extension of his influence, and indicated under the strikes of the enthusiastic Mongol forces very quickly, and the invasion of the Khwarizmstate by the Mongols after their political relationship depended on diplomatic missions and trade exchange before the Otrar incident, which cri that relationship was a crisis that caused tge Mongol force to move and march westward to subjugate Transoxiana, Khorasan and all the land of the Khwarizm State.

**Keywords:** Extrapolation of seducer, invasion, algorithm, Atrar.

## المؤلف المرسل: بن سعيد جمال

### 1. مقدمة:

تعتبر حادثة أترار نهاية العلاقات السلمية بين المغول والخوارزميين والتي أدت إلى توتر العلاقات بينهما، كانت نتيجةها زحف جحافل القوات المغولية واجتياحها إقليم الدولة الخوارزمية، ومن ثمة فتح الطريق إلى بداية غزو العالم الإسلامي في شقه الآسيوي، وإسقاط أهم مراكزه ومعالمه الحضارية حتى عاصمة العباسيين دار السلام بغداد سنة 656هـ/1258م. وبلاد الشام.

وللحديث عن الغزو المغولي للدولة الخوارزمية يجب الإشارة إلى بداية ظهور الأزمة السياسية بين القوتين المغولية والخوارزمية، والتي تعتبر السبب المباشر لاندفاع جنكيز خان بكامل قواته نحو الغرب وإفناء القوة الخوارزمية، ويشير المؤرخون إلى اجتماع الكثير من الأسباب التي جعلت من القائد المغولي جنكيز خان يوجه أنظاره شطر العالم الإسلامي في شقه الشرقي بداية من الدولة الخوارزمية، والتي يمكن تصنيفها إلى أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة كما سيأتي ذكرها.

فماهي هذه الحادثة؟، وماهي تداعياتها وأسبابها من خلال المصادر التاريخية؟

### حادثة أترار وتأزم العلاقات 615هـ:

كما سبق الإشارة إليه فحادثة أترار هي السبب المباشر في توتر العلاقات و تأزم الأوضاع بين المغول والخوارزميين ، ومدينة أترار؛ ذكرها الحموي أطرار، "وقال بعضهم يقول أترار، وهي مدينة حصينة وولاية واسعة في أول حدود الترك مما وراء النهر على نهر سيحون قرب فاراب" (الحموي ، 1977 ، 218)، كما تعتبر بأنها أي الحادثة . سببا في تخريب ديار الإسلام، كقول الجوزجاني حين قال: "ولأن الحق تعالى كان قد أراد أن يكون هذا الغدر سببا في تخريب ديار الإسلام" (الجوزجاني، 2012، 123).

وتمثلت هذه الحادثة في أنه كان بين المغول والخوارزميين علاقات سلمية تجارية، ألى حين قدوم قافلة تجارية من قبل جنكيز خان متجهة نحو البلاد الخوارزمية، ثم وصلت إلى المدينة الحدودية التي تسعى أترار بين الدولتين، وكانت محملة بالنفائس مما أطمعت نفس حاكم هذه المدينة بما حوته تلك القافلة من أثمان وأجمل وأطرف السلع والمجوهرات والمتاع، أدت به إلى إبادة أفرادها ونهب ممتلكاتهم.

اختلفت الروايات التاريخية في وصف حيثيات تلك الحادثة اختلافاً كثيراً، واتفق في شيء واحد هو مكانها مدينة أترار التي سميت أحيانا أطرار من قبل بعض المؤرخين، وأن سنة الحادثة هي 615هـ، وسنبتن هذه الاختلافات من خلال سرد الروايات وتحليلها ومقارنتها.

تجلى الاختلاف الأول بين الروايات في مَنْ أمر بقتل التجار، لأن هذه الجزئية هي الأكثر أهمية، ويتمثل الاختلاف في روايتين متباينتين:

فأصحاب الرواية الأولى يقولون بأن أمر قتل التجار صدر من السلطان الخوارزمي شخصياً مباشرة إلى نائبه في أترار، وفي ذلك يقول الجويني: "قبض عليهم جميعاً - أي نائب السلطان - واحتجزهم وأرسل رسولا مخبرا السلطان بأحوالهم، فأمر السلطان بإباحة سفك دمائهم دون تفكير أو روية" (الجويني، 2007، 109)، ويضيف: "وقضى عليهم امثالاً لما أشير عليه به"، "وحينما وصلت القافلة إلى أترار، غدر بهم قدرخان حاكم أترار وطلب الإذن من خوارزمشاه وقتل جميع التجار القادمين والرسل" (الجوزجاني، 2012، 123).

ويدعم هذه الرواية أيضاً ابن أبيك الدواداري في حديثة عن مراسلة النائب مع السلطان: "وسير إلى السلطان يقول: إن قوما قدموا علينا لا نعرفهم قبل ذلك، ومعهم أموالاً جمّة، من أصناف كيت وكيت، يقصدون بيعه ومشتري قماش وسلاح، فما ترسم في أمرهم، فكتب إليه السلطان يقول: إذا أتاك كتابي فاضرب رقابهم" (بن أبيك الدواداري، 1972، 237-238)، "فوصلوا - أي التجار - إلى مدينة من بلاد الترك تسمى أترار، وهي آخر ولاية خوارزمشاه، وكان له نائب هناك، فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر، أرسل إلى خوارزمشاه يُعلمه بوصولهم، ويذكر له ما معهم من الأموال، فبعث إليه خوارزمشاه يأمر بقتلهم" (ابن الأثير، 2002، 343).

ويضيف ابن العبري رواية في نفس المنوال، في قوله: "فلما وصل التجار إلى مدينة أترار طمع أميرها غاير خان فيما معهم من الأموال، فطالع السلطان في أمرهم، وحسن له إبادتهم واغتنام مالهم، فأذن له في ذلك، فقتلهم" (ابن العبري، 1982، 401)، وسواء زين أمير المدينة له القتل أم لا، فالأمر صادر من السلطان.

وتظهر لنا رواية أخرى بسياق مختلف وخطير، تجعل السلطان الخوارزمي متهماً مع سبق الإصرار والترصد بالمعنى الحديث، والتي جاء بها أبو الفضائل

الحموي، حيث يوضح لنا أن السلطان استعمل الحيلة والغدر في قتل التجار المغول بالتعاون مع نائبه في أترار فيقول: "فلما وصلوا إلى الحد الذي لبلاده إلى بلد يقال له أطرار، فيه أمير يقال له رسلان ملك من قبل السلطان، فأعاقهم وسيّر إلى السلطان عرفه خبرهم، فجأوبه السلطان أن من المصلحة أن لا يُمكن هؤلاء من بلادنا وكشفها ولا يُؤمنوا، فتجهزهم وتسيرهم يومين ثلاثة في الطريق، وتسير إليهم من يأخذهم ويقتلهم، حتى كأن الحرامية قد فعلوا بهم ذلك، فعمل بقوله وما سلم منهم إلا شخص تركوه قصدا" (أبو الفضائل الحموي، 1981، 81-82).

ويُفهم من هذا أن السلطان متهم مباشرة في قتل التجار، وأنه فعل ذلك بالحيلة والمكر حتى لا يظهر أنه المسؤول عن قتلهم، غير مدرك أنهم قتلوا في حدود دولته وداخل أراضيه، وبذلك وحسب الأعراف الدولية فإنه مسؤول عن أمنهم وحماية ممتلكاتهم في حدود دولته.

ويضاف إلى أصحاب هذه الرواية المؤرخ العيني، الذي هو بدوره اعتمد على مصادر مهمة ومطلعة وقريبة من مكان وزمان الحادثة، حيث يقول: "وسبب دخولهم . أي المغول . أن جنكيز خان بعث تجارا له مع أموال كثيرة إلى بلاد خوارزمشاه يشترى له ثيابا للكسوة، فكتب نائب خوارزمشاه إليه يخبره بهم وبما معهم من الأموال الكثيرة، فأرسل إليه يأمره بقتلهم وأخذ أموالهم ففعل ذلك" (العيني، 2007، 343)، ويضيف ابن واصل: "فوصل هؤلاء التجار إلى بلد يقال لها أترار من بلاد الترك، وهي آخر ولاية السلطان علاء الدين خوارزمشاه، وكان له نائب هناك، فلما ورد هؤلاء عليه، أرسل إلى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم، ويذكر له ما معهم من الأموال، فبعث إليه خوارزمشاه يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم من الأموال، فقتلهم وسيّر ما معهم إلى خوارزمشاه" (ابن واصل، 1975، 38)، ويذكر ابن كثير عن سبب عبور جنكيز خان وجنوده نهر جيحون، حيث يقول: "وسبب دخولهم نهر جيحون، أن جنكيز خان بعث تجارا له، ومعهم أموال كثيرة إلى بلاد

خوارزمشاه يتبضعون له ثيابا للكسوة، فكتب نائبا إلى السلطان خوارزمشاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال، فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم، ففعل ذلك" (ابن كثير، 2004، 1990)، "فبعث إليه عامله عليها معلما بذلك، واستأذنه ما يفعل في أمرهم، فكتب إليه يأمره أن يأخذ أموالهم ويُمثّل بهم ويقطع أعضاءهم ويردهم إلى بلادهم" (ابن بطوطة، 1928، 237).

ومن خلال ماسبق، نلاحظ إجماع هؤلاء المؤرخين أن السلطان الخوارزمي كان هو الأمر بقتل هؤلاء التجار، وبذلك هو السبب في توجه أنظار جنكيز خان نحو الدولة الخوارزمية، ولا يذكرون سببا آخر غير ذلك.

أما أصحاب الرواية الثانية فيتهمون نائب السلطان في جريمة القتل، حيث لا نكاد نجد في رواياتهم ذكرا للسلطان، ومن أهم هذه الروايات نجد الدياربكري، الذي جاءت روايته في قوله: "ثم سافرت تجار جنكيز خان وجاءت فظلمهم نائب بخارى، وهو خال خوارزمشاه وأخذ أموالهم" (الدياربكري، 1303هـ، 411)، إلا أننا لم نجد في روايته ذكر للقتل بل استعمل لفظة الظلم فقط.

يجمع الذهبي بين الروایتين، لأنه أخذ عن الكثير من المؤرخين، لذلك نجده مثلا في كتابه تاريخ الإسلام، يذكر أن السلطان الخوارزمي هو الأمر بقتل البعثة التجارية، حيث يقول: "فبعث يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم" (الذهبي، 1990، 40).

ونجده في كتابه دول الإسلام لم يذكر اسم السلطان الخوارزمي مطلقا في قوله: "فظلم نائب بخارى التجار وأخذ أموالهم" (الذهبي، 1990، 120).

كما نجده في كتابه دول الإسلام، يسرد رواية أخرى مغايرة عن الأولى والثانية، عند ذكر أحداث سنة 615هـ، مفادها أن الأمر كان من نائب السلطان لكن بالقبض عليهم ونهب أموالهم ولا يذكر قتلهم، ثم بعدما فعل ذلك أرسل إلى السلطان يخبره عنهم "واستقر الحال إلى أن جاء من بلاده . أي بلاد جنكيز خان .

تجار إلى ما وراء النهر، وعليها خال خوارزمشاه، فقبض عليهم وأخذ أموالهم شرها منه، ثم كاتب السلطان يقول: إنهم تتار في زي التجار وقصدهم يجسّوا البلاد" (الذهبي، 1985، 165)، ومعنى قوله: "وأخذ أموالهم شرها منه ثم كاتب خوارزمشاه"، أي أنه السبب في الجريمة سواء كانت قتلا أو حبسا أو نهبا للتجار، وأن السلطان لا علم له بذلك.

أما النسوي، يأتي هو الآخر برواية يُبرئ فيها السلطان محمد، ويلقي اللوم والتهمة كاملة على نائبه في أترار ينال خان، بل ويصفه ببعض الصفات الذميمة، فيقول: "فشرفت نفسه الدنية إلى أموال أولئك، وكاتب السلطان مكاتبة خائن يقول: إن هؤلاء القوم قد جاؤوا إلى أترار في زي التجار، وليسوا بتجار، بل أصحاب أخبار، حتى أذن له السلطان في الاحتياط عليهم إلى أن يرى فيهم رأيه، فقبض عليهم، وخفي بعد ذلك أثرهم وانقطع خبرهم" (النسوي، 1953، 85-86)، ويضيف النسوي مبينا أن ينال خان نائب السلطان في مدينة أترار لم يعمل بأمرسلطانه في الاحتياط على التجار، بل تعدى إلى ما كان عاقبة أمره خسرًا، "ولما وصلت التجار إلى أترار، شرفت نفسه الدنية في أموالهم، واحتاط عليهم، وخفّى أثرهم، وتفرّد بتلك الأموال بغير علم السلطان" (العيني، 2007، 343)

وعلى أية حال، إذا قارنا بين الروايات المختلفة في هذه الجزئية، فلا مجال للمقارنة، لأن الكثير من المؤرخين يجمعون على أن السلطان محمد هو صاحب الأمر في هذه المجزرة، لكن بالنظر إلى وجود رواية النسوي، عند مقارنتها بجميع الروايات الأخرى، لعلها هي الأقرب إلى الحقيقة، لأن النسوي الذي تقلد مناصب عليا في بلاط الدولة الخوارزمية حيث يمكنه الاطلاع على وثائق أو معلومات مهمة تخص الحادثة بصفة مباشرة، ونستبعد ميله إلى العاطفة في إعطاء الحقيقة، إذ نجده يضع نائب السلطان الذي كان من ذوي القربى للسلطان نفسه، في موضع التهمة، ووصفه بالخيانة والجشع.

هناك جزئية أخرى كانت محل اختلاف بين الروايات التاريخية، ألا وهي عدد أفراد القافلة التجارية المغولية الوافدة إلى مدينة أترار، فذكرت بأرقام مختلفة ومتباينة.

فالجويني ذكر العدد حين حديثه فيما يتعلق بأمر جنكيز خان في تحضير القافلة فيقول: " وسيّر كل أمير منهم شخصا أو اثنين من قومه التابعين له، فاجتمع بذلك أربعمائة وخمسون" (الجويني، 2007، 108)، وهذا العدد ربما يتناسب مع عدد الأبناء والأمراء إذا كان كل واحد منهم يرسل فردين أو ثلاثة من قومه تنفيذا لأمر الخان كما جاء في الرواية، "فامتثلوا ما أمرهم به، فاجتمع معهم مائة وخمسون تاجرا" (ابن العبري، 1982، 400).

ويضيف الجوزحاني رواية أخذها من أحد رجال الدولة في عهد السلطان محمد، وهو السيد بهاء الدين، فيقول: "وكان يرافقنا نحو خمسمائة من الجمال المحملة بالذهب والفضة" (الجوزجاني، 2012، 123)، وربما يقصد بهذا العدد من الجمال أنه كان لكل جمل فرد يقوده، لأنه لما ذكر حادثة القتل قال: "بحيث لم ينج أي واحد منهم، إلا جمالا واحدا كان في الحمام"، وبهذا يكون عدد أفراد القافلة خمسمائة فرد.

غير أننا نجد النسوي في روايته قد اكتفى بذكر أربعة تجار من أفراد القافلة بأسمائهم، وهم عمر خواجه الأتراري، والحمال المراغي، وفخر الدين البخاري، وأمين الدين الهروي، والراجح أن هؤلاء الذين ذكرهم النسوي كانوا بصحبة مجموعة من التجار والرسل ممن أوفدهم الخان المغولي، لأننا نلمس ذلك في ما جاء به في رسالة ينال خان التي بعث بها إلى السلطان حين قال: "إن هؤلاء القوم قد جاؤوا أترار" (النسوي، 1953، 85)، ولفظة "القوم" هنا تدل على كثرة العدد.

ويذكر الحموي أن عدد الرسل الوافدين مع القافلة ثلاثة أفراد، ولم يذكر عدد التجار المصاحبين لهم، حيث يقول: "وعدهم ثلاثة رسل وصحبهم تجار" (الحموي، 1981، 81-82)، إلا أننا نجد هذه الرواية تتفق مع رواية ابن العبري تقريبا، حينما أضاف الحموي قائلا: "والذي كان مع الرسل والتجار صحبتهم ما يناهز مائة وخمسون فرسا محملا عليها نقرة الفضة"، ولعله كان مع كل فرس تاجر يمتطيه، وبذلك يكون عدد التجار مائة وخمسون تاجرا ومعهم رسل جنكيز خان الثلاثة.

#### أسباب مذبحه أترار:

من خلال هذه المصادر نلمس سببين مباشرين:

تمثل أحدهما في الطمع والجشع الذي غلب نائب أترار الذي استولى على نفائس تلك القافلة، وقد أشار إلى ذلك أغلب المؤرخين مثل ابن الأثير والجويني وابن واصل و الدياربكري والجوزجاني وابن كثير والذهبي وغيرهم على نحو جاء فيه: "فقبض عليهم وأخذ أموالهم شرها منه" (الذهبي، 1985، 165)، "فكتب إليه نائبا يذكر له ما معهم من كثرة الأموال، فأرسل إليه -أي السلطان- بأن يقتلهم ويأخذ مامعهم" (ابن كثير، 2004، 1990)، "فظلمهم نائب بخارى وأخذ أموالهم" (الدياربكري، 1303هـ، 411)، "فأرسل إلى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الأموال، فأرسل إليه خوارزمشاه يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم من الأموال" (ابن الأثير، 2002، 401)، ابن واصل، 1975، 38، بن أيبك، 1972، 238، العيني، 2007، 343)، " وقتل جميع التجار القادمين والرسل طمعا في ذلك الذهب وتلك الفضة" (الجوزجاني، 2012، 123)، وهذا يدل على مدى قيمة تلك القافلة بما حوته من نفائس المعادن و الأقمشة والأموال.

أما النسوي فاختر في تعبيره عن هذا العمل الإجرامي ألفاظاً تنمُّ بالسخط على النائب واصفا إياه بالجشع والخيانة والكذب، قائلاً: "فشرفت نفسه الدنية إلى أموال أولئك، وكتب السلطان مكاتبة خائن مائن" (النسوي، 1953، 85).

وتمثل السبب الثاني في الشبهة والشكوك التي راودت نائب السلطان حول هؤلاء التجار بأنهم قد يكونوا جواسيساً من طرف المغول، وفي ذلك يقول بعض المؤرخين في مراسلات السلطان ونائبه: "من المصلحة أن لا يمكّن هؤلاء من دخولهم بلادنا وكشفها ولا يؤمنوا" (الحموي، 1981، 42)، فكان جواب السلطان بصيغة التحذير من هؤلاء واليقظة من تحركاتهم باشتباهه فيهم أنهم قد أرسلوا جواسيساً من طرف المغول، وذلك لأنه طالما كان يفعل ذلك، بأن يرسل جواسيسه إلى بلاد المغول،

"إن هؤلاء القوم جاؤوا إلى أترار في زي التجار، وليسوا بتجار بل أصحاب أخبار" (النسوي، 1953، 86)، "وكتب - أي والي أترار- السلطان يقول: إن هؤلاء القوم قد جاؤوا بزي التجار وما قصدهم إلا إفساد الحال، وأن يجسوا البلاد" (الذهبي، 1997، 23)، وذكر الجويني في روايته سببا آخر إلى جانب طمع وجشع نائب المدينة، حيث يسميه "إينال جوق"، وأنه لقب فيما بعد بلقب "غاير خان"، وأثناء وصول القافلة إلى المدينة كان أحد أفرادها يعرفه باسمه الأول، فناده به "إينال جوق"، فتضايق منه هذا الوالي وفعل ما فعل: "وكان أميرها هو إينال جوق، وكان قد لقب بلقب غاير خان، وكان من بين جماعة التجار تلك أحد الهنود على معرفة به من قبل، فناده وفقاً لما كان مألوفاً لديه باسم إينال جوق، فتضايق لذلك... وطمع في مال القافلة، وسولت له نفسه أمر الاستيلاء عليها" (الجويني، 2007، 108-109).

ونفس الرواية جاء بها الرمزي، حيث يقول: "وكان بعضهم يعرف غير خان أولاً، فخطابه باسمه الأول لعدم علمه بالمنع عنه، غضب غير خان لذلك، وانضم إلى ذلك تسويلاته النفسانية له من الطمع في أموالهم" (الرمزي، 1908، 351). ولعل سبب تضايق الوالي من مناداته من اسمه الأول لم يكن مبرراً لارتكاب جريمة القتل تلك، وإنما ذكره الجويني ليصف لنا الغرور الذي تملك هذا الوالي لدرجة أنه يغضب ويستشيط لأتفه الأسباب.

ومهما يكن، فأيّاً كان صاحب الأمر في هذه المذبحة التي راح ضحيتها تجار أغلبيهم من المسلمين، وأياً كان سبب قتلهم، وعدد القتلى من القافلة، فإن هذه الحادثة كانت سبباً في تحرك جيوش المغول وهجومهم الوحشي الهامي وإغراق الدولة الخوارزمية بحار من الدماء، وخراب الكثير من حواضر المشرق الإسلامي آنذاك، حتى العاصمة العباسية بغداد.

#### أسباب أخرى للغزو:

أشار بعض المؤرخين إلى سبب آخر في غزو المغول للدولة الخوارزمية تمثل في تحريض الخليفة العباسي الناصر لدين الله جنكيز خان لدخول البلاد الخوارزمية، والذي كان خليفة المسلمين آنذاك، ومعاصراً لفترة ظهور المغول، حيث أرسل إلى الخان المغولي يستدعيه للدخول إلى البلاد الخوارزمية ويهون عليه ذلك، ويصغره أمر السلطان علاء الدين خوارزمشاه، وذلك أثناء محاولة هذا الأخير الاستيلاء على عاصمة العباسيين وخلع الخليفة العباسي المذكور، وجاء في أقوالهم: "أن الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين كتب إلى التتار يستدعيهم إلى البلاد، ويهون عليهم العبور إلى الأقاليم، ويصغر أمر السلطان" (بن أبيك، 1972، 217)، "وفي خلافته -أي الناصر لدين الله- خرب التتر بلاد المشرق، وكان هو السبب في ذلك، فإنه كتب إليهم بالعبور إلى البلاد خوفاً من السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، لما همّ بالاستيلاء على بغداد" (المقريزي، 1997،

(341)، "يُحكى عنه أنه لما دخلت التتار البلاد وملكوا من ما وراء النهر إلى العراق، دخل عليه الوزير، فقال: آه يا مولانا إن التتار قد ملكت البلاد وقتلت المسلمين، فقال له الناصر لدين الله: دعني أنا في شيء أهم من ذلك، طيّرني البلقاء، لي ثلاثة أيام ما رأيته، وفي هذه الحكاية كفاية إن صحت عنه" (بن تغرى بردي، 1992، 232)، ويبدو هنا أن تجاهل الخليفة الناصر لدين الله لهذا الأمر العظيم الجلل واستصغاره عمدا -إن صح ذلك- كما يقول بن تغرى بردي، إنما هو سببه التواطؤ أو الغفلة، وهو الأمر الذي يعني أنه هو السبب في استفحال أمر التتار وهجومهم على البلاد الخوارزمية، "وقيل في سبب خروجهم إلى بلاد الإسلام غير ذلك، مما لا يذكر في بطون الدفاتر" (ابن الأثير، 1982، 402)، قيل أن الخليفة الناصر لدين الله لما قصد خوارزمشاه ليستولي على العراق، كتب الخليفة إلى جنكيز خان ملك التتر يُطمعه في البلاد، ويُحسن له الخروج عليه ويُهَوِّن عليه أمره، وقد بلغني أن الخليفة الناصر لدين الله كتب إلى خوارزمشاه كتابا، وضمنه بيتا يهدده به وهو:

ستعلم إن حانت من الدهر لفتة عمود دواتي أم سنانك أقوم

وإنما لم يصح ابن الأثير بذلك خوفا من الخليفة والله أعلم بحقيقة ذلك" (ابن واصل، 1975، 39).

واتبع أصحاب هذه الرواية مجموعة من المؤرخين المتأخرين، منهم عبد العزيز الخالدي، ففي حديثه عن فشل مفاوضات الصلح التي أبداهَا الخليفة العباسي مع السلطان الخوارزمي أثناء تقدمه نحو العاصمة بغداد، حيث قال: "عند ذلك أرسل الخليفة إلى جنكيز خان طالبا مساعدته ضد السلطان خوارزمشاه، وكانت الطامة الكبرى والجريمة النكراء التي ارتكبتها الخليفة، فقد لفت هذا الطلب نظر المغول إلى التدخل في العلم الإسلامي، وعرفهم بمدى تفرق المسلمين" (الخالدي، 1982، 49-50).

ويشير إلى هذا الاتهام كذلك المؤرخ الصياد في قوله: "وكثيرا ما يقال إن خطط جنكيز خان إذا لم تكن بتحريض من دول أجنبية، كانت على الأقل تلقى تأييدا من الخارج، وبخاصة من خليفة بغداد الناصر" (الصياد، 1982، 107). ويصرح بذلك حسن خليفة في قوله: "ارتكب الناصر خطأ جسيما بالالتجاء إلى المغول، فقد أطمعهم في بلاد الدولة العباسية، ودلّهم على مواطن ضعفها إذ انتهزوا تلك الفرصة العظيمة وحولوا تيار فتوحهم نحو الغرب، وأغاروا على أطراف الدولة، وحاربوا شاه خوارزم، فقصوا على سلطانه وعلى سلطان غيره من أمراء المسلمين في بلاد الجزيرة والموصل وآسيا الصغرى، ثم نزلوا على العراق ودخلوا بغداد بعد ذلك وقضوا على الخلافة العباسية" (حسن خليفة، 1931، 237).

وهكذا نرى الخليفة بعد اجتماعات عدة عقدها في بغداد، يقرر بحكمته أن جنكيز خان الذي ذاع صيته في شرق آسيا وغربها، هو الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يرد السلطان الثائر إلى صوابه، فلم يتردد في أن يستعين به على عدوه الخوارزمي (منصور عبد الحكيم، 2008، 123).

ويضيف أحمد حمدي في هذا السياق: "ولم يجد الخليفة بعد ذلك من ينصره على عدوه الخوارزمي، الذي عقد العزم على الاستيلاء على بغداد، وأخيرا هداه تفكيره إلى الاستعانة بعدو من نوع جديد، يخالف كل تلك القوى التي رأيناها، عدو وثني جاء من أقصى الشرق ليرتشف من دماء المسلمين في أقصى الغرب، ولم يكن هذا العدو سوى جنكيز خان خاقان المغول" (أحمد حمدي، 1949، 50).

تبرز لنا الكثير من الروايات التاريخية، أن السلطان الخوارزمي أواليه على مدينة أترار، أو أيا كان منهما صاحب الأمر في تلك المذبحة، قد اتصف بصفة الغدر والجشع والطمع، إذ جاء في هذا النحو قول النسوي أن الخان المغولي- بعد الحادثة- عندما أرسل إلى السلطان يطلب منه القصاص لرعاياه، ورد في رسالته "أن الغدر قبيح، ومن سلطان الإسلام أقبح" كما وصف النسوي والي مدينة أترار بالجشع والطمع والخيانة، كما ذكر في ذلك الذهبي قوله: "فأمر خوارزم شاه بالرسل فقتلوا، فيا لها فعلة ما كان أقبحها، أجرت كل نقطة من دماء الرسل سيلا من الدماء".

وعن أسباب هذه الحادثة الدموية، اختلفت الروايات بين طمع وجشع الخوارزميين في الأموال والنفائس التي احتوت عليها قافلة هؤلاء التجار، وبين الشكوك والشبهات التي راودتهم في أن أفراد تلك القافلة من المغول إنما قد يكونوا جواسيسا وأصحاب أخبار وليسوا تجارا.

إن حادثة أترار هي السبب الرئيسي والمباشر لهجوم المغول بجحافلهم على الدولة الخوارزمية، والقضاء على تلك الأسطورة التي انتشرت بين البلاد آنذاك، حيث وفي فترة وجيزة تلاشت القوات الخوارزمية أمام الضربات المغولية، وانتهت بمطاردة السلطان الخوارزمي الذي ذاع صيته وغروره في تلك الفترة لدرجة محاولته إخضاع قوة العباسيين واستبدال الخليفة العباسي بخليفة آخر، وفرض السلطة الخوارزمية على عاصمة العباسيين، وانتهى به المآل إلى الموت وحيدا بعد مطاردة من قبل فرقة مغولية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1. ابن الأثير الجزري عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم(ت630هـ/1238م)  
الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.
2. ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي(ت779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظاري في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، مصر، 1928.
3. ابن العربي، غريغوريوس أبي الفرج ابن أهرون المملطي(ت685هـ/1286م)، تاريخ مختصر الدول، تصحيح: الأب أنطون الصالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1983.
4. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الشافعي(ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تقديم: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004.
5. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت697هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج4، تحقيق: د.حسنيين محمد ربيع، راجعه: د.سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 1975.
6. بن أبيك، أبي بكر بن عبد الله الدواداري(ت725هـ/1324م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1972.
8. بن تغرى بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، تقديم: د. محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

- 9 . الجوزجاني، أبي عمر منهاج الدين عثمان (ت698هـ)، طبقات ناصري، ترجمة وتقديم: د. عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013.
- 10 . الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت681هـ/1287م)، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، ج1، تحقيق: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007.
- 11 . الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف (ت637هـ/1240م)، التاريخ المنصوري، تحقيق: د، أبو العيد دودو، تقديم: مراجعة: د، عدنان درويش، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981.
- 12 . الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دارصادر، بيروت، 1977.
- 13 . الدياربيكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت982هـ/1574م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مطبعة عثمان عبد الرازق، (د.م.ط)، 1303هـ.
- 14 . الذهبي، الحافظ شمس الدين أحمد بن محمد (ت748هـ/1347م) . العبر في خبر من غبر، ج3، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، داردار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
- ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997.
- ـ دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، تقديم، محمود الأرنؤوط، دار صادر، بيروت، 1999.
- 17 . الرمزي، (ت1130هـ/1717م)، تليفق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، المطبعة الكريمة والحسينية، أورنبورغ، 1908.
- 18 . المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق:

د.محمد زينهم . مديحة الشرقاوي، مراجعة: أحمد أحمد زيادة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.

- 19 . النسوي، محمد بن أحمد(ت639هـ/1241م)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953.
  - 20 . العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى(ت855هـ/1514م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، العصر الأيوبي، ج3، تحقيق: د.محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2007.
- ثانيا: المراجع:

- 1 .حمدي، حافظ أحمد: الدولة الخوارزمية والمغول، غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1949.
- 2 . الخالدي، إسماعيل عبد العزيز: العالم الإسلامي والغزو المغولي، نشر: مكتبة الفلاح، الكويت، 1984.
- 3 . خليفة حسن: الدولة العباسية قيامها وسقوطها، المطبعة الحديثة، القاهرة، 1931.
- 4 . شبولر شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة: خالد أسعد عيسى، مراجعة وتقديم: د.سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982.
- 5 . الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
- 6 . عبد الحكيم محمد منصور: جنكيز خان إمبراطور الشرق وقاهر العالم، دار الكتاب العربي، دمشق . القاهرة، 2008.